

## تطور الدبلوماسية الأمريكية

من العزلة إلى سياسة عالمية استعمارية

لم يكن خطاب الرئيس ترومان في البرلمان الأمريكي ( الكونغرس ) وهو الخطاب الذي رسم فيه صورة قائمة لعالم ما بعد الحرب ، وأعلن عزم الولايات المتحدة على مساعدة اليونان وتركيا ، ومقاومة خطر الدكتاتورية والشيوعية الذي ينساب رويداً إلى بعض نواحي القارة الأوربية ويهدد مصاير الشعوب الحرة ، مفاجأة لأولئك الذين تتبعوا سير الدبلوماسية الأمريكية في عشرة الأعوام الأخيرة ، ولكنه كان بلا ريب عهداً جديداً يؤكد أهمية التطور الجديد الذي تجتازه الدبلوماسية الأمريكية في عصرنا .

وقد تقلبت الدبلوماسية الأمريكية في طورين بارزين ، لزمّت أولهما زهاء قرن من الزمان ملازمة قوية أمينة ، وهو طور العزلة السياسية التي لبثت دهوراً أوبر ظاهرة في السياسة الأمريكية ، ولم تعدل عنه إلا بفعل أحداث عالمية خطيرة رأت أنها لا تستطيع إزاءها المضي في سياسة الانكماش والجمود القديمة ، وأنه لا بد لها أن تنزل إلى ميدان الحوادث الدولية لتأخذ في توجيهها بنصيب يتفق مع قوتها ومكاتها وغناها .

ويقترن طور العزلة السياسية بتاريخ الولايات المتحدة طوال القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر . ولا بد لنا لفهم البواعث التي حدثت بالسياسة الأمريكية إلى مجانبية عزلتها الماثورة أن نرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر حينما اتخذت أمريكا قرارها الشهير بانتهاج العزلة السياسية . ففي ذلك الحين كانت الولايات المتحدة حديثة عهد بالحرية والاستقلال ، وكانت أوروبا قد هبت عليها عقب الحروب النابوليونية ريج من الطغيان تؤازره الملكيات الأوربية المحافظة في روسيا وألمانيا والنمسا ، وهي التي عقدت فيما بينها المعاهدة المقدسة لتتعاون على قمع الحركات الحرة ، وكانت أم أمريكا اللاتينية التي تحتل أواسط أمريكا وأمريكا

الجنوبية ، قد استطاعت أن تفوز بالتحريم من نير سيدتها القديمة أسبانيا . وكانت الولايات المتحدة وهي أقوى الأمم الجديدة المحررة تخشى عدوان الدول الأوروبية القوية ، وتخشى أن تعود هذه الدول فتحاول غزو الأمم الأمريكية المحررة واستعمارها ، قبل أن يكتمل استقرارها ، وبذلك تهدد سلامتها وسلام القارة الأمريكية كلها . عندئذ اعتزمت الولايات المتحدة أن تصارح أوروبا بنية كانت تساورها منذ عهد واشنطن ذاته ، فاتخذت قرارها الشهير الذي أعلنته على لسان الرئيس مونرو في ديسمبر سنة ١٨٢٣ .

ويتلخص تصريح الرئيس مونرو وهو الذى ألقاه أمام البرلمان فيما يأتى : « إن الولايات المتحدة لا شأن لها بالحروب الأوروبية . ولكنها تحذر الدول الأوروبية وتندرها أن أية محاولة من جانبها لبسط سيادتها على أية بقعة من نصف الكرة الغربى سوف تعتبر خطراً على سلام الولايات المتحدة وسلامتها ، وإن حكومة الولايات المتحدة لن تحاول التدخل فى شأن المستعمرات الحاضرة فى أمريكا أو الأراضى التابعة للدول الأوروبية ، ولكنها لن تسمح أن تقوم هذه الدول بأى ضغط أو تدخل يراد به اضطهاد أية دولة من دول أمريكا اللاتينية الجديدة أو السيطرة عليها . » ومعنى ذلك أن أمريكا لن تسمح لأية دولة من الدول الأوروبية أن تحاول استرداد مستعمرات أسبانيا المحررة أو السيطرة على أية بقعة أخرى من القارة الأمريكية فى المستقبل سواء بالفتح أو الشراء أو التعاقد . تلك خلاصة التصريح الأمريكى الشهير الذى عرف من ذلك الحين بمبدأ مونرو ، والذى غدا أساساً لسياسة أمريكا الخارجية يؤكدته كل رئيس جديد للولايات المتحدة ، ويعتبر بمثابة أصل دستورى لا يحصى عنه ، وذلك بالرغم من كونه لم يدمج فى الدستور ، ولم يصدر به قانون ولم يعترف به كأصل من أصول القانون الدولى

وقد غدا مبدأ مونرو من ذلك التاريخ شعار الولايات المتحدة ، لا تبغى به بديلاً أو تجعله موضع مساومة ، وتحصر على أن تضمن كل معاهدة دولية تعقدها تحفظاً خلاصته أنه لن يعتبر شئ فى المعاهدة يخالف أو ينقص أو يضعف من مبدأ مونرو .

وشهرت أمريكا مبدأ مونرو فى وجه فرنسا سنة ١٨٢٥ حينما أرسل نابليون لثالث حملته إلى المكسيك محاول أن تنشئ فيها إمبراطورية على رأسها

مكسميليان فون هبسبورج ، وهددتها باستعمال القوة المسلحة لمقاومة محاولتها . ولكن فرنسا ما لبثت إزاء تطور الحوادث وثورة الوطنيين أن اضطرت إلى الانسحاب وكان هذا أعنف تطبيق لمبدأ مونرو لجأت إليه أمريكا في القرن الماضي . وكان مبدأ مونرو ما يزال أساس الدبلوماسية الأمريكية في أوائل القرن الحالى ، وقد لخصه الرئيس ولسون فى قوله : « إن مذهب مونرو تؤيده كل موارد الولايات المتحدة » يلخص فى قولها لباقي دول العالم « ارفعوا أيديكم عن نصف الكرة الأمريكى » .

وبالرغم من أن مبدأ مونرو كان أعظم سياج لحماية الدول الأمريكية اللاتينية من الاستعمار الأوروبى فإن هذه الدول كانت تشعر دائماً بأن مبدأ مونرو يهدد سيادتها فى الوقت نفسه ، ويجعلها دائماً تحت رحمة اتجاهات السياسة الأمريكية . وقد تدخلت أمريكا فى الواقع أكثر من مرة فى شؤون بعض الدول الأمريكية الصغرى مثل هايتى وكوبا وسان دومنجو ونكاراجو وبناما . واتهمت أمريكا بأنها تعمل تحت ستار مبدأ مونرو لفرض سيادتها على دول أمريكا اللاتينية وإخضاعها لنفوذها الاقتصادى . ولكن الولايات المتحدة كانت تؤكد دائماً بأنها ليست لها أية غايات استعمارية فى أمريكا اللاتينية

ولما نشبت الحرب الكبرى وقع اعظم تطور فى الدبلوماسية الأمريكية ، وكان من جراء اعتداء الغواصات الألمانية المتكرر على السفن الأمريكية وإغراقها أن دخلت أمريكا الحرب إلى جانب الحلفاء فى أبريل سنة ١٩١٧ . ولكن هذا السبب الظاهر كان يقترن بفكرة أبعد مدى ؛ فقد أشار الرئيس ولسون فى خطابه الذى طلب فيه من البرلمان إعلان الحرب إلى « أن العالم يجب أن يكون ملاذاً أميناً للديمقراطية » . وهكذا وقفت أمريكا إلى جانب جبهة الحلفاء الديمقراطية ضد ألمانيا الإمبراطورية ، وخاضت بذلك أول حرب أوروبية فى تاريخها ، وكان ذلك أول خروج صريح على مبدأ مونرو وسياسة العزلة الأمريكية .

وفى أوائل سنة ١٩١٨ ألقى الرئيس ولسون دعوته إلى عقد الصلح « دون نصر » وأذاع مبادئه الشهيرة لتكون دستوراً لعقد الصلح ، ومنها النص على حرية البحار ، وإلغاء الحواجز الجمركية ، وخفض السلاح ، وتسوية المسائل الاستعمارية بمراعاة مصالح الشعوب ذات الشأن ، وإنشاء عصبة أم

تشرف على تحقيق الاستقلال السياسي والسيادة الإقليمية لجميع الأمم كبيرها وصغيرها . ولما عقدت الهدنة مع ألمانيا وبدأت مباحثات الصلح في فرساي ( أوائل سنة ١٩١٩ ) كان الرئيس ولسون نفسه على رأس الوفد الأمريكي . ولكن ولسون لم يستطع أن يحقق في مؤتمر الصلح كل ما كان يرمى إليه ، وكان أكبر عزاء له أن دستور عصبة الأمم أُدمج في معاهدة فرساي واعتبر جزءاً لا يتجزأ منها . على أن المعاهدة لم تحز قبول البرلمان الأمريكي . وبالرغم مما بذله ولسون من وسائل الاقتناع والمحاجة ، وبالرغم مما ألقاه في البلاد من خطب رنانة لتأييد السياسة التي سار عليها ، فقد رفض مجلس الشيوخ الموافقة على معاهدة فرساي . ولم تمض أشهر قلائل على ذلك حتى أخفق الديمقراطيون في انتخابات الرئاسة وانتخب للرئاسة مكان ولسون رئيس جمهورى هو ورن هاردينج بأغلبية ساحقة . وبذلك أبدى البرلمان وأبدت الأمة كلها عداها الصريح لسياسة ولسون الخارجية ، وهي السياسة المنطوية على التدخل في الشؤون الأوربية ، وإيثارها لسياسة العزلة القديمة والتمسك بمبدأ مونرو .

واستمرت الدبلوماسية الأمريكية مدى حين على عزلتها المأثورة ، ولم تقبل تورطاً في المشاكل الأوربية حتى بدت نذر الخطر من جديد ، يذكيها ما أبدته إيطاليا الفاشستية وألمانيا النازية من ضروب الاعتداء والتحدى . ولما بدت طلائع الحرب العالمية الثانية واضحة ، رأى الرئيس روزفلت - وكان الحزب الديمقراطي قد عاد يومئذ إلى الرئاسة - في سياسة التحدى النازية والفاشستية ما يهدد سلام العالم وسلام أمريكا بطريق غير مباشر . فبذل وساطته لدى هتلر وموسوليني لكي يعمل على اجتناب أسباب الحرب والمعاناة لصون السلم فلم يثمر سعيه . ووقعت الحرب ، وظهر يومئذ من قوة ألمانيا وشدة بأسها ، وما أتيح لها في فترة قصيرة من اجتياح فرنسا ودول أوروبا الغربية كلها ، أن الخطر على الديمقراطية في هذه المرة أعظم وأبعد مدى ، كما ظهر من روعة سلاح الطيران الألماني وامتداد نشاطه حتى الجزيرة الخضراء جرينلند ، وامتداد نشاط الغواصات الألمانية حتى شواطئ الاطلنطيق الغربية ، أن الخطر ليس بعيداً عن أمريكا . وكان الرئيس روزفلت يرى منذ البداية ، ومعه فريق كبير من الشعب الأمريكي ، في الاعتداء النازى تهديداً صريحاً لسلامة أمريكا ، وأن سقوط فرنسا بهذه السرعة ، وضعف إنجلترا ووقوفها بمفردها في الميدان من أخطر النذر التي تهيب بأمريكا

أن تعمل لتدارك الموقف ؛ ولذلك لم يدخر الرئيس روزفلت جهداً في معاونة الجبهة الديمقراطية ومعاونة المجلترا بمختلف الوسائل الاقتصادية والعسكريه قبل أن تدخل أمريكا الحرب ، ولم يحجم عن توقيع ميثاق الأطلنطيق مع مستر تشرشل وهو صريح في التحالف على مقاومة الاستبداد النازي والقضاء عليه . ولم تأت أواخر سنة ١٩٤١ حتى كان الرأي العام الأمريكي يؤيد روزفلت ويناصره في سياسة التدخل في الحرب . وما كاد الاعتداء الياباني يقع على بيرل هاربور في شهر ديسمبر حتى دخلت أمريكا الحرب العالمية الثانية تَوّاً إلى جانب الجبهة الديمقراطية وضد ألمانيا وإيطاليا واليابان .

ولم يكن اشتراك أمريكا في الحرب في هذه المرة مسألة عاطفية أو مثالية فقط على نحو ما كان يغلب على تدخلها في الحرب العالمية الأولى . ولكنه يرجع إلى شعور أمريكا شعوراً عميقاً بأنها تدافع عن سلامها وكيانها وسلامة نظمها ، وإلى الاقتناع بأن سقوط الديمقراطية في أوروبا وسقوط المجلترا حصنها الباق أمام الغزاة النازيين نذير بسقوط الديمقراطية في أمريكا . ومن ثم فقد نزلت أمريكا هذه المرة إلى الميدان بكل قوتها ومواردها ، واشتركت قواتها في سائر الميادين : في آسيا وإفريقية وأوروبا ، وأمدت جميع دول الحلفاء بالعتاد والسلاح ، واضطلعت بأكبر قسط في غزو التحرير في أوروبا ، ولبثت رئيس الولايات المتحدة طول أيام الحرب أحد الأقطاب الثلاثة الذين يوجهون مصايرها في مؤتمراتهم المختلفة . ولما انتهت الحرب العالمية الثانية بظفر الحلفاء أو الأمم المتحدة ، اشتركت أمريكا في احتلال ألمانيا وإيطاليا واليابان ، واشتركت في تنظيم شروط التسليم وفي مؤتمر بوتسدام وفي إعداد معاهدات الصلح مع إيطاليا وغيرها من الدول التي كانت محالفة لألمانيا . وهي تشترك في مؤتمر وزراء الخارجية الذي تقرر إنشاؤه في مؤتمر بوتسدام منذ البداية . وقد قامت بدور بارز في مؤتمر موسكو الذي الذي اجتمع لتقرير مصير ألمانيا . والخلاصة أن الدبلوماسية الأمريكية تأخذ اليوم بأعظم نصيب في توجيه السياسة الدولية وتسوية المشكلات الأوربية والعالمية .

أضف إلى ذلك كله أن أمريكا قامت بنصيب بارز في إعداد دستور هيئة الأمم المتحدة ، وهي اليوم من أبرز أعضائها وإحدى الدول الخمسة ذات الكراسي الدائمة في مجلس الأمن . وفي أمريكا ذاتها يوجد مركز الأمم المتحدة وبحري نشاطها الدولي الخطير

وإذاً فنحن نشهد عهداً جديداً للدبلوماسية الأمريكية نبذت فيه عزلتها القديمة للمرة الثانية ، ونبذتها فيه هذه المرة بصورة مطلقة ، ونزلت إلى معترك المشاكل العالمية بكل قوتها ومواردها . بل يبدو فوق ذلك أن أمريكا قد وطنت النفس على أن تنزل في الوقت نفسه إلى ميدان التنافس الاستعماري . وقد جاء خطاب الرئيس ترومان الخاص بمساعدة تركيا واليونان دليلاً واضحاً على هذا الاتجاه الجديد . ولم يخف الرئيس ترومان أن أمريكا تقصد بهذه العاونة المالية والعسكرية الواسعة المدى للدولتين اللتين تقعان في المدخل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط أن تعمل على صد الزحف الروسى نحو هذه المنطقة ووقف التيار الشيوعى الذى يسيطر اليوم على رومانيا ويوجوسلافيا وبلغاريا . وقد كانت انجلترا حتى اليوم تتولى مهمة حراسة هذه المنطقة وتعمل بكل ما وسعت على معاونة تركيا واليونان لمقاومة سياسة الاندفاع الروسى ، فلما لم تسطع المضى بمفردها فى تلك المهمة قامت أمريكا تؤازرها وتأخذ على عاتقها بذل هذه المعاونة وذلك باتفاق بين الدولتين . ومن الواضح أن المصالح الأمريكية البريطانية العظيمة فى الشرق الأوسط والتي تتركز حول استغلال مناطق الزيت الغنية فى إيران والعراق وجزيرة العرب هى الهدف الأول المقصود بالحماية ، وذلك مهما حاول الرئيس ترومان أن يسبغ على أقواله لوناً عاطفياً مثالياً يتعلق بحماية الأمم الديمقراطية المحبة للحرية من عدوان الشيوعية والنظم الدكتاتورية . بل نحن لا نسى أن الرئيس ترومان يعمل بمساعدته لتركيا على دعم الدكتاتورية العسكرية الكمالية التى تفرض على تركيا منذ خمسة وعشرين عاماً حكماً طغيان مطبق ، ويعمل بمساعدته لليونان على دعم نظام فرض على الشعب اليونانى بقوة الحراب البريطانية .

والحقيقة السافرة هى أن الدبلوماسية الأمريكية تتأهب لمقارعة سيامة التوسع الروسية ومقاومتها . وقد غدت منطقة البحر الأبيض الشرقية والشرق الأوسط مسرحاً هاماً من مسارح هذا النضال . وأمريكا تحرص مثل بريطانيا على ألا يتسرب الروس إلى الدردنيل أو بحر إيجه والخليج الفارسى . وتحاول أمريكا فى الوقت نفسه أن تحصل على قواعد بحرية فى البحر الأبيض المتوسط ؛ ولعلها تحصل على قاعدة فى قبرس ، وفى رودس . ومن المعروف أنها تبدل مثل هذه المحاولة بالنسبة لطرابلس قاعدة

لويبة الغربية ، وهي محاولة تؤيدها إنجلترا دفعاً لمطامع روسيا التي تطالب أيضاً بطرالس .

والظاهر أن أمريكا لن تقف في مقاومة التيار الشيوعي عند مساعدة اليونان وتركيا . فقد ورد في الأنباء الأخيرة ما يدل على أن أمريكا ترمع مساعدة فرنسا اقتصادياً وذلك لتمكينها من مقاومة الضغط الشيوعي الذي يهدد لديها كل استقرار ونهوض ويخشى إذا عجزت عن مقاومة أن تتحدر إلى معترك الفوضى .

وتشعر روسيا السوفيتية بخطورة التدخل الأمريكي في شؤون البلقان والشرق الأوسط على سياستها ومشاريعها . وقد ظهر صدى خطاب الرئيس ترومان في تعليقات الصحف السوفيتية وحملاتها على مشاريع الاستعمار الأمريكي بعنف . ولكن أقطاب الكرملين لم يفصحوا حتى اليوم عن الاتجاهات الجديدة التي يمكن أن تتجح إليها روسيا لمقاومة السياسة الأمريكية .

وتتير السياسة الأمريكية الجديدة في داخل أمريكا ذاتها كثيراً من الريب والاعتراضات . وقد حمل عليها كثير من قادة الرأي ، وفي مقدمتهم مستر ولاس نائب الرئيس السابق حيث وصفها بأنها سياسة استعمارية سياسة عنف وتحد تؤدي إلى الحرب . ورأى البعض الآخر أنها مناقضة ليثاق الأمم المتحدة ، ولكنها رأينا مجلس الأمن حين اثرت لديه هذه المسألة يقر أمريكا على برنامجها لمساعدة اليونان وتركيا ويأبى كل تدخل في شأنه .

نلك هي أطوار الدبلوماسية الأمريكية في نحو قرن من الزمان . فقد بدأت في أوائل القرن الماضي حريصه على عزلتها التي قررها مبدأ مونرو ، ثم خرجت عن عزلتها التاريخية لأول مرة في الحرب الكبرى ، ولكنها سرعان ما انكلمشت وعادت إلى التمسك بعزلتها . ومنذ الحرب العالمية الثانية تعود أمريكا قتهجر عزلتها وتنزل بكل قواها ومواردها إلى ميدان الكفاح العالمي سواء في الحرب أو السلم . هي اليوم تنزل إلى ميدان التنافس الاستعماري الاقتصادي والسياسي لأول مرة في تاريخها . وكل ما هنالك يدل على أن أمريكا سوف تمضي في سياستها الجديدة قدما ، وأنها لن تستطيع نكوصا إلى الوراء ولن تعود إلى عزلتها الماثورة ؛ فسبيل هذه العودة قد انتهى ، فما سده ، بما ارتبطت به أمريكا من العهود والمصالح الدولية والاستعمارية الخطيرة ، وبما حققته لنفسها بانتصاراتها

في الحرب الأخيرة من نفوذ عالمي تدعمه القوة الحربية والاقتصادية . على أنه يبقى دائماً من مذهب مونرو شرط متمسك به أمريكا وتحرص أشد الحرص على تطبيقه ، وهو ما ينص عليه من أن أمريكا لن تسمح لأية دولة من الدول الأوروبية بأن تقوم بأى ضغط أو تدخل في شؤون نصف الكرة الغربي . وقد كان مذهب مونرو يضع هذا الانذار للدول الأوروبية مقابل العهد الذي أخذته أمريكا على نفسها من أنها لن تحاول تدخلا في الشؤون الأوروبية . ولكن ظروف العالم قد تغيرت اليوم تغيراً عظيماً ، ولا تجد الدبلوماسية الأمريكية اليوم غضاضة في أن تتحرر من هذا العهد القديم .

محمد عبد الله عثمان